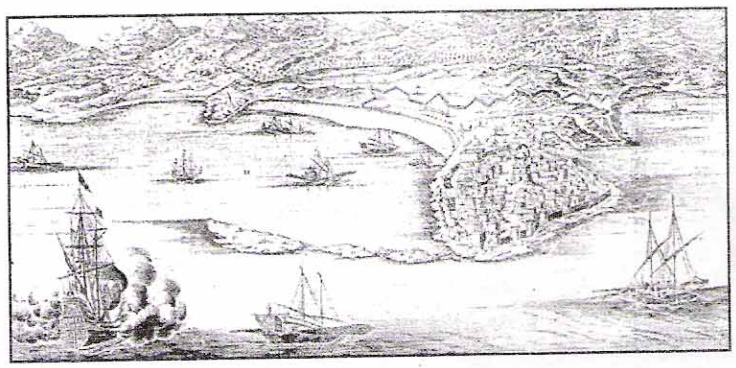

قبيلة كتامة التاريخية في سطور

1- الأصول الاجتماعية لقبيلة كتامة

حسب بن خلدون تكون قبيلة كتامة واحدة من أهم بطون البرانس من قبائل الأمازيغ أو البربر كما يعرفون تاريخيا بالمغرب العربي ، و هي عند نسابة البربر منحدرة من كتام بن برانس .أما عندالنسابة العرب فيقولون بأنها واحدة من فروع قبيلة حمير القادمة من شبه الجزيرة العربية ، و ذكر ذلك المؤرخان العربيان الكلبي و الطبري ، و أول ملوك هذه القبيلة ، حسب هذه الرواية هو فريقش بن صيفي الذي سميت بلادهم باسمه ، والذي صار يطلق اليوم على سائر إفريقيا ، و هو من ملوك التبابعة باليمن ، و هو أول من فتح إفريقيا وقتل ملكها جرجير . و حسب الرواية الأولى تكون قبيلة كتامة قد تفرعت إلى فرعيين رئيسيين هما: غرسن و يسودة ، و منهما تناسلت كل بطون كتامة المعروفين عند المؤرخين ، و على هذا الرأي فهم عناصر محلية أصيلة و قد ارتبطوا بهذه البلاد و عرفوا على أديمها منذ فجر التاريخ. و لم تأت بهم الهجرات البشرية التي كان شمال إفريقيا مسرحا بواسطة عدة مراكز في العالم القديم ، و إن لم يسلم فيما بعد مثل غيرهم من سكان بلاد المغرب ، من عناصر طارئة اختلطت بهم و اندمجت معهم بحكم المصاهرة أو الحلف ، أو طول الجوار. و أيا كانت الاعتبارات و الحجج التي بنيت عليها هذه الروايات فقد اتفق النسابة العرب و البربر على أن البرانس هم أبناء برنس بن بر بن مازيغ بن كنعان بن حام ، و من ثم ، و حسب بن خلدون فانهم يلتقون مع الفلسطينيين في النسب و الأصل . وأيا كانت حقيقة نسب هذه القبيلة فإن ما يجب التنويه به أن هذه القبيلة هي أهم القبائل البربرية في المغرب الأوسط في القرون الوسطى عددا و شأنا .

2-إقليم كتامة و أهم حواضرها

لقد سكن بنو كتامة شمال إفريقيا منذ القدم (مثل إخوانهم من فروع قبيلة البتر ، شقيقة البرانس) في التاريخ القديم تدخل منطقة كتامة ضمن إقليم نوميديا القديمة، و في ظل الاحتلال الروماني الحقب بموريتانيا السطيفية التي كان مركزها سطيف ، و يمتد إقليم كتامة على كامل المنطقة الواقعة شمالا مابين بجاية على غاية دلس غربا و عنابة شرقا ، على حدود الحضنة و الأوراس من ناحية الجنوب و الجنوب الشرقي ، و قالمة و سوق اهراس شرقا ، و لهم مواطن معروفة في مجال هذه المنطقة منها الحواضر الكبرى المعروفة اليوم مثل : قالمة ، جيجل ، قسنطينة ، القالة ، سكيكدة ، القل ، سطيف ، و الحواضر الصغيرة الموجودة بنواحي الأوراس ، و لهم مواطن أخرى ذكرت في المصادر التريخية مثل إكجان إقجان بنواحي بني عزيز بولاية سطيف و هي مركز الدعوة الفاطميةو بلازمة ، و باغايا و غيرها .

3- الدور التاريخي لقبيلة كتامة :

يذكر المؤرخون أن قبيلة كتامة كانت أشد القبائل باسا و دفاعا عن إقليمها و قد قاومت على الدوام كل محاولات الغزو و الاحتلال الأجنبي لاسيما الروماني الوندالي و البيزنطي و حتى الفتح الإسلامي العربي في بداية الأمر .لقد كان لبداية الانهيار التدريجي للإمبراطورية الرومانية في بداية القرن الخامس الميلادي أثره في تسهيل تحرر سكان الأرياف خاصة ، من سيطرة الرومان ، و قد ساعد على ذلك مجيء الغزو البيزنطي غير أنه كان اسوء من ساقة بسبب الإذلال و الخراب الدمار الذي أتى على الإنسان و العمران ،و قد قاوم الكتاميون هذا الغزو إلى أن جاء الفتح الإسلامي في بداية القرن الثامن الميلادي و قد كانت لهم ممالك مستقلة و قيادة عظماء في تلك الفترة . أعتنق الكتاميون الإسلام رغم الفتن التي وقعت بسبب الردة عن الإسلام التي ادت إلى نشوب معارك بينهم وبين الفاتحين إلا أن الأمور استقرت في نهاية الأمر بعدما تفهم الأمازيغ أهداف الفاتحين الجدد غير المادية و مبادئهم غير المعقدة عكس من سبقوهم ، فتعاونوا جميعا على طرد البيزنطين و الرومان و تحرير البلاد نهائيا ، و أدى اندماج العنصرين إلى تكوين مجتمعا جديدا على أسس و نهج جديد و أدىذلك إلى قيام ممالك بربرية معروفة و قد خضعت أقاليم كتامة لسيطرة الأغالبة ثم الزيريين ثم الحماديين ثم الموحدين .و في بداية القرن العاشر الميلادي، كانت قبيلة كتامة من أقوى القبائل البربرية في المغرب آنذاك ، فتحالفت مع الفاطميين ضد الخلافة العباسية تعاطفا مع دعاة الأسماعيلية المتشيعين لأهل البيت و ذلك لاحتضانها هذه الدعوة و نصرتها و استطاعوا الإطاحة و القضاء على دولة الأغالبة في القيروان بتونس ، و قد كان دورهم حاسما في تأسيس الدولة الفاطمية ، فكانوا حماتها و جنودها المخلصين و قد رحل عدد كبير منهم ضمن جيش "جوهر الصقلي" قائد الحملة الفاطمية على مصرلكنهم تمكنوا من دخول الفسطاط بعدد محاولات عديدة ، يوم السبت 17 شعبان عام 358 هجرية الموافق لـ 969 ميلادية ، و اسسوا مدينة القاهرة ، و قد خص لهم بجوار القاهرة مكانا يتمركزون فيه و ظلوا قوة عسكرية هامة في خدمة الخلافة الفاطمية و قد قادوا حملات ضد العباسين حتى بلغوا دمشق ، و لاتزال كل من القاهرة و دمشق على التوالي تحتفظ لهم بحواري تسمى باسمهم كحي الكتاميين بالقاهرة و حارة المغاربة بد مشق ،

http://jijel.online.fr

قبيلة كتامة التاريخية في سطور

(تتمة)

و بسبب موقف هذه القبيلة فقد تعرض أبناؤها في فترات و مواطن عديدة إلى الاضطهاد و الانتقام على ايدي العباسيين و الأمويين و أنصارهم .

4- المميزات و الصفات الاجتماعية لقبيلة كتامة و إسهاماتها العلمية و الثقافية .

من العادات و الصفات التي تتصف و تتميز بها هذه القبيلة " نلاحظ أن الشجاعة و حماية الملاجئ و توقير أهل العلم و إكرام الضيف و الثبات على المبدأ من أظهر صفات سكان كتامة منذ القديم . و من المؤكد أن هذه الصفات و العادات الحميدة لا تستقيم مع ما ذكرته بعض الروايات من عادات قبيحة و مستهجنة لذلك تكون مكذوبة و ملفقة. و لقد تعلم الكتاميون الدين و تفقهوا فيه و هذا وحده كفيل بأن يجعلهم يبتعدون عن كل خلق سيئ مما ذكره بعض المؤرخين ، و قد ساهموا في نشر الإسلام و ترقية العلوم و شتى مناحي المعرفة و لمع منهم علماء عظام لا يتسع المقام لذكرهم . و على المستوى اللغوي فإن جميع فروع قبيلة كتامة تكون قد استعربت ماعدا قبيلة زواوة التي لم تستعرب إلا بنسبة ضعيفة .

5- فروع قبيلة كتامة و انتشارها.

يعتقد المؤرخون أن جميع فروع قبيلة كتامة ترجع للفرعين المذكورين انفا : غرسن بن كتام ، و يسودة بن كتام. وغرسن تتفرع معظم القبائل التي تنتشر اليوم على إقليم ولاية جيجل و بعض الولايات المجاورة ، و تنحدر من فرع بني يناوة ، و بني ينطا سن تحديدا ، و من أهم فروع بني يناوة -فرع جيملة الكبرى و يوجد بمنطقة جيملة إلى غاية تسالة بولاية ميلة إلأى حدود العلمة بولاية سطيف . -فرع مسالتة (تا لا إيفاسن) بين سطيف و اقبوا و مواضع أخرى ضمن إقليم كتامة . و من فرع بني ينطاسن نجد قبيلة إجانة التي تنتشر بين مدينتي الطاهير و الميلية ، و كذلك قبيلة معاذ التي لا تزال تعرف بهذا الاسم بناحية الميلية " بني معاد " . و من فرع يسودة توجد قبيلة متوسة التي يوجد فرع منها ضمن قبيلة جيملة متوسين و قرية متوسة بولاية بجاية. إنه لمن الصعب اليوم ، تعقب و فرز فروع قبيلة كتامة و تشعبها في الوقت الحاضر نظرا للظروف التاريخية مرت بها بلادنا منذ قرون ، عرفت أثناء ها حركة عبر مختلف العصور و هجرات بشرية من و إلى شمال إفريقيا و تمازج هذه الشعوب فيما بينها ، كان أخر حلقاتها ، مت نتج عن نظام الحالة المدنية الفرنسي، الذي ألغى بصفة جذرية النظام القبلي لأغراض استعمارية و رغم ما له من إيجابيات فإنه في المقابل أدى إلى إحداث قطيعة مع الأصول أو الجذور الاجتماعية لمعظم أفراد الشعب الجزائري ، لذلك فإنه من غير الممكن العودة اليوم إلى فكرة القبلية و إنما يتعين علينا أن ندرس لنعرف من الناحية التاريخية أصول هذه الأمة العريقة في التاريخ ، مع تقبل حقيقة أثبتها التاريخ و هي اندماج العناصر الوافدة على المنطقة في السكان الأصليين مما تولد عنه مجتمع مزيج من أعراق و أصول متعددة أهمها الأمازيغ و العرب .

إعداد : بوسنة مسعود

المراجع :

1-دور كتامة في تأسيس الخلافة الفاطمية
موسى لقبال
٢-تاريخ الجزائر العام عبد الرحمن الجيلالي
محاضرات الملتقى الأول حول تاريخ جيجل
جوان 1987

http://jijel.online.fr